**المراسلات العثمانية**

يضمّ هذا الرصيد الّذي يتكوّن أساسًا من مراسلات، إلى جانب عدد من التقارير و الوثائق القضائية و الإدارية ما يناهز ألف و ستمائة و اثنتان و أربعون وثيقة، تمثّل أربعمائة و ثمان ثلاثون وثيقة منها الرصيد القديم بالمكتبة الوطنية الجزائرية، و هي موزّعة على خمس مجموعات تشكّل كلّ منها ملفًا مستقلاًّ، و هي الّتي تحمل الأرقام التالية : 1641، 1642، 1903، 2316، 3203 ؛ و تمثّل ألف و ستّ و ثمانون وثيقة الرصيد الجديد الّذي حصلت عليه المكتبة الوطنية، أو بالأحرى أعيد إليها مؤخّرًا، و هو رصيد المستشرق دلفان (Delphin)، و هي موزّعة على اثني عشر ملفًا توجد ضمن خمس مجموعات تحمل الأرقام التالية : 3190/ملفان، و 3204/ملفان، و 3205/ثلاثة ملفات، و 3206/ثلاثة ملفات، و 3207/ملفان.

فأمّا وثائق مجموعات الرصيد القديم، فجميعها أصلية ما عدا المجموعة رقم 1641 الّتي يوجد بها بعض الوثائق فقط أصلية، في حين أنّ أكثرها وثائق منقولة من أصول مفقودة ؛ و أمّا وثائق رصيد دلفان، فليست أصلية كما اعتقد البعض من هشاشة ورقها و التلف الّذي أصاب بعضها، و إنّما كلّها تقريبًا هي نسخ منقولة من أصول، فبعضها نسخ لوثائق عربية أصلاً، و بعضها الآخر عبارة عن ترجمة عربية لوثائق تركية مفقودة. و تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الرصيد ما هو إلاّ النزر اليسير من أصل عشرات آلاف الوثائق العثمانية الّتي كانت محفوظة في دار الإمارة (قصر الجنينة، و من ثمّ القصبة)، حيث نجت بأعجوبة من التلف و الإهمال تحت الإدارة الفرنسية. و كان دﻳﭭﻮ (Devoulx)، محافظ الأرشيف العربي بإدارة أملاك الدولة، الّذي بدّد قسمًا من تلك الوثائق، هو من أمر مترجمين محلّيين - محمّد بن مصطفى و محمّد بن عثمان خوجة - بترجمة الأصول التركية إلى العربية ليتسنّى له معرفة محتواها و استخدامها في البحوث العديدة الّتي قام بها حول الجزائر في العهد العثماني.

و فيما يتعلّق بأهمّية تلك الوثائق جميعها، فإنّه أمر لا يمكن إنكاره بأي حال من الحوال، لأنّ بواسطتها ستتضح لنا في المستقبل جوانب كثيرة من تاريخ الجزائر العثماني، خصوصًا أنّ عددًا من تلك الوثائق تعدّ نماذج فريدة من نوعها لا يعتقد وجود مثلها في أماكن أخرى. و منها فرمانات تعيين ولاة الجزائر و تجديد الولاية لهم من الباب العالي، و أخرى تحتوي على أوامر إرسال السفن الجزائرية لتشارك في الحرب إلى جانب الأسطول العثماني، أو الإذن بتجنيد متطوّعين و إرسالهم إلى الجزائر. كما نجد قوائم للهدايا الّتي كان ولاة الجزائر يرسلونها إلى الباب العالي، و رسائل وصلت إليهم من أشخاص مقيمين بمكّة و المدينة لتدرج أسماؤهم ضمن قوائم المستفيدين من عوائد أوقاف الحرمين الشريفين، و أخرى وصلت إليهم من وكلائهم في المدن العثمانية ؛ و ممّا يلفت الانتباه في هذا الصدد أنّ الجزائريين كانوا شديدي الحرص على تتبّع أخبار الأحداث في الدولة العثمانية ؛ و كان وكلاء الإيالة في إزمير و إستانبول و الإسكندرية و مختلف المدن الأخرى يجمعون المعلومات حولها و يرسلونها في تقارير إلى الباشا و وزرائه في الجزائر. و إضافة إلى ذلك، هناك مراسلات البايات و قادة الحاميات العسكرية في الجزائر، و نجد وثائق أخرى عبارة عن رخص تسلّم للجنود لزيارة ذويهم في الأناضول، أو لأداء فريضة الحجّ، و وثائق تخصّ سندات شراء بعض السلع للجزائر من الخارج، و قوائم للعتاد الّذي كانت تقدّمه لها بعض الدول، و أخرى عبارة عن عهود أمان تتعلّق بالنظام الداخلي للجيش، و أخرى عبارة عن معاهدات مع بعض الدول. كما تمدّنا بعض تلك الوثائق بمعلومات تخصّ جوانب متنوّعة، على سبيل المثال المجلس العلمي في الجزائر و دوره في معالجة القضايا المرفوعة إليه، حيثيات العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الأزمة (1827-1830)، الوضع الاقتصادي الّذي كان سائدًا بالجزائر في تلك الفترة، نشاط بعض السفن الجزائرية في البحر المتوسّط، إلخ.

**مجموعات المراسلات العثمانية :**

- مجموعة رقم 1641 (1719-1783)، و هي عبارة عن 128 وثيقة بعضها منقول عن وثائق أصلية ؛ و هي في شكل رسائل وجّهت إلى وكيل الامتيازات الفرنسية أو مراسلات من باشوات الجزائر لقائد الحامية (آغا النوبة) بمدينة عنّابة.

- مجموعة رقم 1642 (1816-1830)، و هي 30 رسالة معظمها موجّهة من محمّد باي و أحمد باي بقسنطينة إلى حسين باشا بالجزائر.

- مجموعة رقم 1903 (1823-1830)، و هي حوالي 74 وثيقة أغلبها رسائل موجّهة إلى وكيل الحرج المكلّف بشؤون البحرية الجزائرية.

- مجموعة رقم 2316 (1787-1830)، و هي وثائق شرعية من محاكم خارج مدينة الجزائر في شأن الملكيات، و ما يتعلّق بها من معاملات و إجراءات.

- مجموعة رقم 3190 (1748-1830)، و هي 479 وثيقة أغلبها مراسلات موجّهة إلى حكّام الجزائر.

- مجموعة رقم 3203 (1742-1843)، و هي 69 وثيقة تهمّ قضايا المعاملات التجارية داخل و خارج مدينة الجزائر.

- مجموعة رقم 3204 (1769-1830)، و هي 79 وثيقة موجّهة لباشوات الجزائر من جهات مختلفة.

- مجموعة رقم 3205 (1747-1830)، و هي 232 وثيقة منها مراسلات إلى حكّام الجزائر، و أحكام قضائية موزّعة على ثلاثة ملفات مستقلّة (120 و 55 و 57).

- مجموعة رقم 3206 (1810-1830)، تضمّ 137 وثيقة موزّعة على أربعة ملفات، و هي في مجملها مراسلات موجّهة من مختلف الجهات إلى حكّام الجزائر (الداي) و مساعديه (موظّفي الديوان).

- مجموعة رقم 2307، و هي عبارة عن ترجمات فرنسية لوثائق الملف الأوّل من المجموعة 3190 و الملف الثاني من المجموعة 3206 ؛ و هي في مجموعها تؤلّف 336 وثيقة موزّعة على ثلاثة ملفات (300 و 22 و 14).

و في الأخير، لا يسعنا سوى التنبيه على الخلل الّذي أمكن ملاحظته في مواقع كثيرة من تلك الوثائق، منها سقوط الكلمات، و أخطاء في كتابة التواريخ، و الترجمات غير الوافية أو الخاطئة للعبارات، و القراءة غير الصحيحة لبعض الأسماء و نحو ذلك ؛ و أكثر ما نجد ذلك الخلل في الوثائق المترجمة إلى العربية عن الأصول التركية المفقودة.